بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لاسيما محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة شهادة الصديقة الطاهرة (ع) أحاول أن أتحدث[1] بما أفكر أنه ينفع إن شاء الله، لكن أنا طرف وأنت طرف آخر وأنت الطرف الأهم، قد أنا أفكر بأن حديثا ينفعك وأنت لا تتلقاه حديثا نافعا فلا ينفعك

أريد أن أشير إلى جانب من معاناة الصديقة الطاهرة (ع) لأجل الدين، إن فاطمة (ع) مكثت بعد رسول الله (ص) خمسة وسبعين يوما –على رواية– ونحن الآن نعيش ذكرى وفاتها حسب الرواية الأخرى وهو أنها عاشت بعد وفاة أبيها (ص) خمسة وتسعين يوما، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، كانت فاطمة (ع) شديدة الحب لرسول الله (ص)، نتحدث الآن عن الجانب البشري لها (ع) فهي كانت تعيش مع أمها خديجة (ع)، وخديجة كانت امرأة معززة مكرمة في قريش، معروف عنها حينما بُعث رسول الله (ص) وصدقته خديجة وأعانته، فنساء قريش قاطعنها، ففي هذا الجو والأجواء مشحونة متوترة ولدت فاطمة (ع) وأمها مقاطعة، حصار في الشِّعب معاناة شديدة، بشكل طبيعي كانت فاطمة (ع) كثيرة الاتصال والالتحاق بأمها

توفيت خديجة (ع) في السنة العاشرة من البعثة، فكانت فاطمة (ع) تتابع وترعى رسول الله (ص)، رسول الله (ص) كان دائم التنقل، يتكلم، يقرأ القرآن، يذهب إلى الطائف، يؤذى فيرجع، لا أدري هل تستطيع أن تتصور هذا أو لا؟ فاطمة (ع) كانت صغيرة وتأخذ مكان أمها في التعامل مع رسول الله (ص) تعطيه الحنان تحاول أن تخفف عنه، ينقل أنهم كانوا يرمون رسول الله (ص) بالأوساخ، فكانت فاطمة (ع) بيديها الصغيرتين تزيل هذه الأشياء[2]

---

(١) تحدث به السيد محمد علي الباقري (حفظه الله) في يوم الجمعة بعد صلاة العصر بتاريخ ٢ جمادى الثانية ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/٩/١م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) سير أعلام النبلاء (١/١٧٤)

وحينما كبرت زوّجها رسول الله (ص) من أمير المؤمنين (ع)، وحسب المقاييس الظاهرية أن هذا الزواج ما كان مرغوبا وعلى هذا الأساس نساء قريش كنّ يلمْن فاطمة (ع) (زوّجك رسول اللّه من فقير لا مال له)[٣] وكان أمير المؤمنين (ع) معرضا دائما للقتل لأنه كان جنديا في الواجهة وهو دائما مشغول في خدمة رسول الله (ص)، قليلا ما يوجد لديه (ع) مجال للراحة وللحياة الزوجية، زواج عمل، زواج رسالة، زواج دين، فمن ناحية الجانب البشري، الإحساس البشري كان موجودا فيها كانت (ع) تتألم بهذا الإحساس تعاني نتيجة هذا الإحساس الذي هو موجود فينا كبشر، فكانت صغيرة عمرها –في بعض الروايات المعروفة– تسعة أو أكثر، ثم وَلدت وهي التي كانت ترعى أولادها، ورسول الله (ص) كان كثير التعلق بفاطمة (ع) حينما يرجع (ص) من السفر ومن الغزو أول من يأتي فيسلم عليه من النساء هي فاطمة (ع)، وآخر من يودّع رسول الله من النساء هي فاطمة (ع)

فقر، معاناة، أذى، تحمل، ينقل (أن سلمان قال: كانت فاطمة (عليها السلام) جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل والحسين في ناحية الدار يتضور من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله دبرت كفّاكِ وهذه فضة، فقالت أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تكون الخدمة لها يوما، فكان أمس يوم خدمتها قال سلمان: قلت: ... إما أنا أطحن الشعير أو أسكت الحسين لك؟ فقالت: أنا بتسكينه أرفق وأنت تطحن الشعير)[٤]، يوجد فقر شامل عام (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[٥]، (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)[٦]، رواية تنقل (أصبح علي (عليه السلام) ذات يوم ساغبا، فقال يا فاطمة هل عندك شيء تطعميني قالت والذي أكرم أبي بالنبوة، وأكرمك بالوصية، ما أصبح عندي شيء يطعمه بشر، وما كان من شيء أطعمك منذ يومين إلا شيء

---

[٣] كشف الغمة في معرفة الأئمة (٢٥٣/١)

[٤] بحار الأنوار (٢٨/٤٣) نقلا عن الخرائج

[٥] (الحشر: ٩)

[٦] (الإنسان: ٨)

كنت أؤثرك به على نفسي وعلى الحسن والحسين. قال أعلى الصبيين ألا أعلمتني فآتيكم بشيء قالت يا أبا الحسن، إني لأستحي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر...)[٧]

كذلك الوضع يستمر إلى أن يتوفى رسول الله (ص)، أبوها الذي كان يحبها، سندها ملجؤها ذخرها يموت، فاطمة (ع) هي التي تعرف ماذا يعني موت رسول الله (ص)، مضافا إلى افتقادها لأبيها وسندها الوحيد تفتقد الإمامة، فتشعر بثقل الأمر على عاتقها أكثر، معاناتها تزداد بعد وفاته (ص) (قد كان بعدَكَ أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب)، حصل ما حصل، في هذا الجو ينقل أنه طُلب من أمير المؤمنين (ع) أن يمنع فاطمة (ع) من البكاء على أبيها، فينقل أنها كانت تخرج إلى أُحد عند قبر حمزة (ع)، في هذا الوضع آلامها النفسية، معاناتها الشديدة التي لا تتحملها الجبال الرواسي (صبّت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا)

نقرأ في القرآن الكريم من خصال عباد الرحمن أنهم يقولون (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[٨]، كل إنسان يتمنى أن يجد في أولاده قرة عين له، زوجة فرعون كذلك قبل أن تؤمن قالت حينما وجدوا موسى (ع) في اليم (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ)[٩]، الناس يختلفون بهذا اللحاظ، شخص يتمنى أن هذا الولد الذي يولد له يصبح إنسانا بارزا، ثريا صاحب جاه ومقام يشار إليه بالبنان فعادة هكذا يكون، لو كنا –لا سمح الله– من هذا النمط من الناس هنا لا تحصل هذه الرغبة الإيمانية (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)، عباد الرحمن ليسوا كذلك فهم يتمنون أن يجدوا في أولادهم وأزواجهم قرة أعين، لكن قرة أعين لهم بلحاظ أنهم راغبين لأن يكونوا أئمة للمتقين، في الواجهة، هذه الرغبة أساسا موجودة مخلوقة في الإنسان المؤمن، الإنسان فطريا هكذا يكون إلا أن يتخلى عنها ينتظر أن غيره هو الذي يأتي يتولى أمره

بينما لسان حال المؤمن: أنا أريد أن أفعل شيئا ليس فقط أتكلم، ولا أن أنتظر غيري، لا، أنا أريد أن أكون إماما للآخرين، مسؤولية العالم على عاتقي أنا، يجد في الخطبة الشقشقية المعاناة التي تعكس

---

(٧) أمالي الطوسي ص٦١٦

(٨) (الفرقان: ٧٤)

(٩) (القصص: ٩)

هذه المسؤولية (فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى)، تحملا للمسؤولية صبر أمير المؤمنين (ع) لأنه رأى أن الصبر أفضل لحفظ الإمامة، هذا هو الباب الوحيد، يعني هذه الرغبة الكامنة يجب أن تنمو، الإنسان المؤمن يتعامل بكلّه وبقوة لا أن يكون مرتبكا، فهو يتعامل كإمام في طول إمامة الأئمة (ع) لا يغفل عن هذا، يتعامل في بيته مع زملائه مع أهله هكذا، حتى بينه وبين نفسه، بمشيته بجلسته، إذا كنت هكذا وأنت إن شاء الله في هذا الطريق وفوق كل مرحلة من الهدى هدى (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)[١٠]

هنا تجد هذه المعاناة وتعرف أنه كيف ذلك البلاء العظيم الذي طال واستمر مدة قرنين ونصف، ذلك البلاء الذي كان الملَك يذكره لفاطمة (ع) متجسدا في ذريتها، يعزيها بماذا؟ هل مثلا يعزيها ويسليها بأن الخلافة سوف تكون لأمير المؤمنين (ع) وبأن ذريتها لا يعانون!؟ أم يعزيها بحياة الحسن (ع) الذي جرّعوه الغصص؟ بمعاناة أولادها؟ عزاء تسلية، يذكرها بشهادة الحسين (ع) ومعاناته، فتجد في الحسين (ع) قرة عين لها فتخف آلامها معاناتها أذاها

بل حتى الخلافة كانت لأمير المؤمنين (ع) كلها عناء (ملأتم قلبي قيحا)[١١]، (فسنح لي رسول الله (ص)، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد؟ فقال: أُدع عليهم، فقلت: أبدلني الله بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا لهم مني)[١٢]

متى نستطيع أن نعرف هذا؟ إذا بدأنا بداية صحيحة وإذا كنا نشعر بالمسؤولية الدينية وإذا كنا نشعر بهذه الرغبة وبكل وجودنا ونريد أن هذه الرغبة (واجعلنا للمتقين إماما)[١٣] تزداد وتترسخ، هناك إذا كنت بهذا الشكل تقول: ربي أنا في سبيلك، أهلي في سبيلك، رسول الله (ص) حينما كان هنالك مباهلة أبرزَ كل أعزته، إلهي هؤلاء أعزتي وأحبتي كلهم لك، هنا تلتقي نفسك بنفس فاطمة (ع) تعرف معاناتها وتعرف أن نفس الزهراء (ع) كيف تتسلى وتتعزى، هذا هو الباب، وإلا يبقى الشخص دائما يتوقع من

---

(١٠) (سورة محمد: ١٧)

(١١) نهج البلاغة (الخطبة ٢٧)

(١٢) نهج البلاغة (الخطبة ٧٠)

(١٣) (الفرقان: ٧٤)

غيره أن يكون إماما له فيقول أنا أحب أن أتدين عندي رغبة لكن غيري يفعل، حتى إذا لا يقول هذا لكن طريقته هكذا لا أحد يراني في الواجهة، لا أحد يستطيع أن يحسب لي حسابا لا أحد يستطيع أن يعقد عليّ أملا لأكون ولأتصرف كإمام للمتقين، إذا كان بهذا الشكل فإذن لا يحصل لقاء مع فاطمة (ع)

ابنتها زينب (ع) تألّمت بكت تأذّت، لكن حينما هدأت ينقل أن في ليلة الحادي عشر من محرم حينما زارت أجساد الشهداء زارت جسد أخيها (ع) بكت تكلمت ثم بعد ذلك وضعت يديها تحت الجسد الطاهر (إلهي تقبل منا هذا القربان)[١٤] بهذه الرغبة بهذه النفسية، هذه قرة عين لزينب، هذه قرة عين لفاطمة (ع)، هل تسعى لأن يقر الله عينك بأولادك بذويك بأي شخص أنت لك تأثير عليه بأن يقر الله عينك بهم بهذه الطريقة؟ هنالك تلتقي بفاطمة (ع)

والحمد لله رب العالمين

(١٤) مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم ص٣٢٢